دور الوقف العلمي في التنمية الاجتماعية
ولاية باتنة أنموذجا * دراسة ميدانية *

أ. زينب بوشريف
ماجستير في علم الاجتماع الديني
zineb-boucharif@hotmail.fr

ملخص البحث

يعدّ الوقف رافدا من روافد الخير والمال في المجتمع الإسلامي، وهو باب من الأبواب التي شرعها الإسلام لسدّ حاجات المجتمع والمؤسسات الاجتماعية بما يلزمها من الوسائل للاستمرار في أداء رسالتها.

وخدمة المجتمع تقوم على دعامتين، مساهمة الفرد واهتمام الدولة ومشاركتها، وتكون أوسع وأعمق لما يكون الانسجام بينهما فعلى مستوى الفرد بالإنفاق والحرص على أن يكون مكملا لا هادما لما يحتاجه الأفراد، والدولة بالتخطيط والمتابعة والتدخل حين تكون الضرورة.

وصنعت الأوقاف تلاحما وبناء لأفراد المجتمع على كافة الأصعدة بشكل لم تشهده الأمم الأخرى إلاّ في أزمنة متأخرة، فدور العلم والكتاتيب والمستشفيات، والوقف على طلبة العلم والاهتمام بالعلماء كلها من الصور المبدعة التي تحفظها الذاكرة من التاريخ الإسلامي، وما تحتاجه الأمة اليوم لاستعادة الركب يتطلب منها إعادة القراءة في ذلك الموروث والاستفادة من تجارب الذين نجحوا في استثمار الأوقاف لأجل النهوض بالتعليم وتنمية المجتمع.

وجاءت هذه الورقة البحثية للتعرض بشكل أساسي لمفهوم الوقف الإسلامي وكذا المفاهيم المتعلقة بالتنمية، وإلى التعليم باعتباره مؤشرا مهما في عملية التنمية وكيف ساهم الوقف في ذلك من خلال عرض لواقع الأوقاف في ولاية باتنة وأهم الآليات لتفعيل الوقف العلمي.

مقدمة

نظام الوقف، نظام يقوم على فكرة الإحسان، فهو من أهم ميادين البر، وأكثر روافد الخير وأعظمها أجرا، والمتمعن في نصوص الشريعة التي تحث على هذا الباب وهو الإنفاق في سبيل الله والتي يمثل الوقف أحد المعالم فيها يجد أن هناك حكما كثيرة ومتنوعة في تشريع الوقف منها:

أ – تحقيق عبودية الله سبحانه، قال الله تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق

والمغرب ولكن البر من ءامن بالله و ملائكته والكتاب والنبيئين وءاتى المال على حبه ذوي القربى و اليتامى والمساكين و ابن السبيل والسائلين و غي الرقاب﴾ (البقرة: ١٧٧).

ب- بناء الإنسان وتربيته على حب الخير ومحاربة شح النفس، وكثير من القيم التي يتدرب عليها الإنسان وهو يعطي من ماله طواعية، ابتغاء الأجر ووضع ذلك المال لأجل الصالح العام، إضافة إلى القيم التي تنتشر بين أفراد المجتمع من تكافل وتراحم ومحبة...

فالوقف باب من الأبواب التي تساعد على تنمية المجتمع وذلك عن طريق تداول المال بين الناس وتقديم المساعدة لهم بشكل منظم وعن طريق مؤسسة تدرس مشاريعهم و تنتقي أنسب الوسائل الفعالة في المجتمع للقضاء على العوامل التي تحول دون النمو والتقدم الاجتماعي أو التقليل من آثارها و أضرارها.

وفي هذا السياق نحاول معرفة خصائص نظام الوقف الإسلامي والبحث عن أهم الصيغ والآليات التي يمكن أن تفعّل لصالح البحث العلمي، وبناء على ما سبق يمكن طرح الإشكالية التالية:

ما هي الآليات والصيغ التي يمكن أن تفعّل حتى يمكن للوقف العلمي أن يشارك في العملية التنموية للمجتمع؟ ويمكن تناول الموضوع وفق الخطوات التالية:

أولا: التعريف بمصطلحات الدراسة (الوقف العلمي، التنمية الاجتماعية) وبيان أهداف التنمية.

ثانيا: دور الوقف العلمي في التنمية.

ثالثا: أوقاف ولاية باتنة أنموذجا.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات الدراسة (الوقف العلمي، التنمية الاجتماعية)

أولا- تعريف الوقف:

أ- الوقف لغة: يتضمن معنى الإمساك[1] والمكث[2] والتسبيل والحبس[3]. وجمع الوقف، وقوف وأوقاف، واشتهر الوقف بمعنى الشيء الموقوف، من باب إطلاق المصدر على اسم المفعول، فيقال هذا البيت وقف. فهو تنازل عن المال طواعية بنية القرب من الله تعالى لينتفع به دون تمليك للشيء الموقوف.وقد شاع مصطلح الحبوس في بلاد المغرب والأندلس وهو اللفظ المأخوذ من حديث النبي (صلّى الله عليه وسلم) تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة[4]

[1] مرتضى الزبيدي، تاج العروس، دار صادر، بيروت،(د، ط)، ج3 ، (د،ت)، ص:269.
[2] أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون،دار الجيل،لبنان،ط1،ج 6، 1999م، ص:135.
[3] ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ، (د.ط)، ج5، (د.ت)، ص: 359.
[4] رواه عبد الله بن عمر، البدر المنير في تخريج الأحاديث، الموسوعة الحديثية.

ب – تعريف الوقف اصطلاحا

1– الوقف في اصطلاح الفقهاء: لا يبتعد المعنى الاصطلاحي للوقف عن المعنى اللغوي، غير أن الفقهاء اختلفوا في تعريف الوقف من حيث لزوم العقد وعدم لزومه، وكذلك بالنسبة لانتقال ملكية المال للموقوف من الواقف أو عدم انتقالها كذلك هل الوقف تعتبر فيه إرادة الواقفين أو تسقط؟

قال الشافعية والحنابلة أن الملكية تنتقل إلى ملك الله، أما الحنفية فيرون أن الملكية تبقى في ذمة الواقف وله الحق في التصرف في الوقف إلا في ثلاث حالات: إذا كان الوقف مسجدا، أو صدر حكم من القاضي بلزوم الوقف، أو إذا علق الواقف وقفه على موته، فإذا مات لا يحق لورثته التصرف في الشيء الموقوف.

أما المالكية فقالوا: الملكية لا تسقط عن الواقف لكن لا يتصرف في الموقوف، وفي الحقيقة هذه الملكية ملكية صورية ما دام الواقف لا يستطيع التصرف في الوقف، غير أن هذا الأمر يفقد الوقف الشخصية الاعتبارية.

ورغم أن المذهب السائد في الجزائر هو المذهب المالكي إلاّ أن القانون الجزائري أخذ بتعريف الحنابلة، فالقانون رقم 10/91 المؤرخ في 12شوال عام 1411هـ الموافق ل27 أفريل1991م المتعلق بالأوقاف، عرف الوقف في المادة– 03 –: هو حبس العين عن التملك على وجه التأبيد والتصدق بالمنفعة على الفقراء أو على وجه من وجوه البر والخير.

2– الوقف العلمي:

فإذا كان تعريف الوقف هو تحبيس العين عن التملك وصرفها في وجه من وجوه البر، فالوقف العلمي يعني أن يكون ذلك التحبيس على وجه من وجوه التعليم، سواء كان للمعلم أو المتعلم أو ما يساعد في العملية التعليمية من عقار ومتاع وغير ذلك وقد عرّفه خميس العدوي بقوله: "هو تحبيس الأصول على منفعة الجوانب العلمية و التعليمية، كوقف المكتبات، ونسخ الكتب، ونسخ المصحف الشريف وتجليده، ووقف المدارس وحلقات العلم، والمتعلق بالمتعلمين والمعلمين ونفقاتهم ووقف القراطيس والأحبار و الأقلام ونحوه مما يحتاجه العلم والتعلم".[1]

ثانيا: تعريف التنمية:

أ – تعريف التنمية لغة تتضمن معنى النماء، وهي الزيادة، و رفع الشيء على وجه الإصلاح.[2]

---

[1] نقله عن الشبكة العنكبوتية، د: أحمد أنور الشلتوني، التدابير الشرعية لإعادة الوقف العلمي إلى دوره الفعال في النهضة العلمية للأمة، بحث مقدم لمؤتمر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية، كلية الشريعة جامعة الشارقة، 10-5 -2011م

[2] ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص: 4552

ب – تعريف التنمية اصطلاحا:

1– تعريف التنمية عند الاقتصاديين:

*– يذهب فرانسوا بيرو (F.Perroux) إلى أن التنمية هي التنسيق بين المُتغيرات الفكرية والاجتماعية للسكان، تجعلهم قادرين على زيادة الناتج الحقيقي بطريقةٍ مستمرة ودائمة؛ وذلك لأنه مهما كان النظام الاقتصادي المُطبق، فإن النمو– الذي هو ضروري للتنمية– المُتصل أو الدائم والحقيقي في هذه الاقتصاديات تعوقه عديد من السمات الفكرية والاجتماعية للسكان[7].

*– ويعرف فؤاد موسى التنمية على أنها عمليةٌ بالغة الدقة، تتمثَّل في النهاية في الارتقاء المنظم بإنتاجية العمل من خلال تغيراتٍ هيكلية تتناول ظروف الإنتاج الاجتماعي، وإحلال تكنيكٍ أرقى، واستخدام وسائل إنتاجٍ أحدث وأكثر كفاية، مع إشباع متزايد للحاجات الفردية والاجتماعية[8].

وهو تعريف يتضمن تعبئة الموارد الأولية وأدوات العمل اللازمة للإنتاج، توظيف الأيدي العاملة والمُنتِجة المُؤهلة، وتطوير شامل للعلاقات الإنتاجية؛ بما يؤدي إلى زيادة إشباع الحاجات.

وفقًا للتعاريف السابقة للتنمية عند الاقتصاديين فإنها تشمل على عددٍ من العناصر أهمها:

✓ الشمولية: فالتنمية هي تغير شامل ينطوي ليس فقط على الجانب الاقتصادي المادي، ولكن أيضًا على الجانب الثقافي والسياسي والاجتماعي والأخلاقي.

✓ حدوث زيادةٍ مستمرة في متوسط نصيب الفرد من الدخل الحقيقي لفترةٍ طويلة من الزمن؛ مما يعني أن التنمية عمليةٌ طويلة الأجل، أي أنها تتصف بالاستمرارية أو الديمومة.

2– تعريف التنمية عند الاجتماعيين: يشير عبد الباسط محمد حسين إلى أن التنمية ما هي إلا عمليات التغير الاجتماعي تلحق بالبناء الاجتماعي ووظائفه بهدف إشباع الحاجات الاجتماعية للأفراد وتنظيم سلوكهم وتصرفاتهم، وهي تعني بدراسة مشاكلهم

مع اختلافها، وبذلك فهي تتناول كافة جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية وغيرها، فتحدث فيها تغيرات جذرية شاملة عن طريق المجهودات المخططة والمعتمدة والمنظمة للأفراد والجماعات لتحقيق هدف معين.[1]

* ويرى "ريتشارد وارد" أنّ التنمية الاجتماعية هي منهج علمي وواقعي لدراسة وتوجيه نمو المجتمع من النواحي المختلفة مع التركيز على الجانب الإنساني منه، وذلك بهدف إحداث التكامل

[1] عبد الباسط محمد حسن، التنمية الاجتماعية، معهد البحوث و الدراسات العربية، المطبعة العالمية، القاهرة، (د.ط)، 1970 م،ص ص: 100 .90

والترابط بين مكونات المجتمع.[1]

3- تعريف الأمم المتحدة للتنمية: في عام 1955م عرفتها على أنها العملية المرسومة لتقدم المجتمع جميعه اجتماعيا واقتصاديا وتعتمد بقدر الإمكان على مبادرة المجتمع المحلي واشتراكه، وفي عام 1956م قدمت هيئة الأمم تعريفا يشير إلى أنّ تنمية المجتمع هي العملية التي تستهدف الربط بين الجهود الأهلية وجهود السلطات الحكومية لتحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمعات المحلية، وتكامل هذه المجتمعات في حياة الأمم والشعوب وتمكينها من الإسهام الفعال في التقدم القومي.[2]

ومما سبق يمكن أن نستخلص أنّ:

- مفهوم التنمية ليس ثابتا، فكل يتناوله من زاويته، وينظر إليه من انطلاقا من الأيديولوجية الحاكمة لفكره.
- **التنمية عند الاقتصاديين الرأسماليين والاشتراكيين زيادة في الناتج القومي وكذلك الزيادة في دخل الفرد.**
- **والتنمية عند الاجتماعيين وسيلة ليصل الإنسان إلى تحقيق أكبر قدر من الرفاه.[3]**
- **التنمية عبارة عن إحداث تغيير مخطط وهادف للانتقال من التخلف إلى التقدم ولا بد فيها من تغيرات كمية تعقبها تغيرات كيفية.**
- **هي عملية مستمرة في المجتمعات المتقدمة و المتخلفة.**
- **تساعد على البناء وذلك باستخدام برامج وتخطيط للوصول إلى ذلك، كبناء المدار س والمستشفيات التي لابد لها من برامج لتحقيق التنمية.**
- **وبهذا فالتنمية تشير إلى العملية التي يتمكن بها المجتمع من تحديد حاجاته وأهدافه وترتيبها حسب أولويتها، ثم إذكاء الثقة والرغبة لتحقيق هذه الحاجات والأهداف، والوقوف على الموارد الداخلية والخارجية التي تتصل بهذه الحاجات والأهداف ثم القيام بعمل بشأنها، وبهذه الطريقة**

---

[1] هناء حافظ بدوي، التنمية الاجتماعية- رؤية واقعية من منظور الخدمة الاجتماعية-، دار المعرفة، مصر، (د.ط)، 2000م ، ص: 76

[2] عبد الرحيم تمام أبو كريشة، دراسات في التنمية الاجتماعية، المكتب الاجتماعي الحديث، مصر،(د.ط)، 2003م، ص: 40

[3] إبراهيم حسن العسل، التنمية في الفكر الإسلامي، مفاهيم – عطاءات، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، ط1، 2006م ، ص: 26

تمتد وتنمو روح التعاون والتضامن في المجتمع[1]

والأثر الحقيقي للتنمية يقاس بمقدار ظروف الحياة الناس، فالإنسان قبل كل شيء هو الهدف من التنمية، وتحسين نوعية الحياة التي يعيشها هي المقياس الحقيقي للنجاح فيها، فإذا كانت التنمية هدفها رفع معدلات النمو وحسب، حيث يكون الاهتمام بالكم لا بالكيف والذي يتمثل في تحسين نوعية الحياة التي يعيشها الفرد والمجتمع، فلا تعد تنمية بذلك.[2] وفي المبحث الموالي بيان إلى كيفية مساهمة الوقف في تنمية المجتمع.

المبحث الثاني: دور الوقف في التنمية و آلياته

التنمية في أصلها ودون اختلاف بين العلماء والدارسين أنها تهتم بالإنسان، وللعلم أهميته البالغة في حياة الأفراد والمجتمعات والحضارات، ولأهميته أوّل ما نزل من القرآن كان قوله سبحانه وتعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (العلق: ١ – ٥).

لقد اهتم الإسلام بالعلم لأنه أساس التمدن والتطور، كما يعد غذاء العقول ونور الهداية للقلوب، ولطالب العلم منزلة لم ينلها طالب غير هذه الوجهة، حيث قال النبي (صل الله عليه وسلم): "من سلك طريق يبتغي فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة و إنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وإنّ العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإنّ العلماء ورثة الأنبياء وأنّ الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر[3]" ولما كانت مشاريع التنمية تدعو إلى التعلم، فإن الوقف يمكن العودة به إلى أحد مكوناته الذاتية التي يمكن أن تقدم لنا الخير، لذلك يمكن أن نتصور استغلال عائدات الأوقاف لدعم التعليم بمختلف مستوياته و أنواعه، على النحو التالي:

أولا: تخصيص جزء من عائدات الوقف:

أ – لدعم الجامعة[4] ويكون إما بشكل منح تعطى للمتميزين من الطلبة أو لأجل البحوث

---

[1] محمد عباس إبراهيم، التنمية والعشوائيات الحضرية – اتجاهات نظرية وبحوث تطبيقية- دار المعرفة، الإسكندرية، 2003م، ص:111

[2] حربي محمد عريقات، مقدمة في التنمية والتخطيط الاقتصادي، دار الكرمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 1997م، ص: 51.

[3] رواه أبو داود والترمذي.

[4] من المشاريع المقدمة للوقف على الجامعات ، مشروع الوقف على مؤسسة الوقف للدراسات العليا الذي قدمه الدكتور

المقدمة، الصرف على الملتقيات التي تنظمها الجامعة، والأيام الدراسية، والمشاريع التي تنجزها المخابر.[1] كذلك يمكن الوقف على برامج تأهيل الطلبة، المكتبة، و تمويل المحاضرات...

ويمكن تصور مساهمة الجامعة في إحياء سنة الوقف وتفعيله حسب ثلاثة محاور[2]

المحور الأول: التكوين

ويقسم إلى قسمين، تكوين قصير المدى وفيه يكون دور الجامعة بتقديم الخدمات حسب طلب الجهة الوصية على الوقف وهي إدارة الشؤون الدينية والأوقاف وذلك لأجل تكوين وتأهيل العاملين في مصلحة الأوقاف، ويكون تكوينهم في مدة تتراوح ا بين 6 – 9 – 18 شهر، أما القسم الثاني وهو التكوين طويل المدى ويكون في الجامعة حيث تعمل على تخريج إطارات تحمل شهادات عليا في الأوقاف وهذا المشروع الذي قامت به الجامعة– كلية العلوم الإسلامية بباتنة – فعلا وهو ماستر مهني في الأوقاف.

المحور الثاني: البحث العلمي

ويتمثل مساهمة البحث العلمي في إحياء الوقف من خلال آليات وهي إنشاء فرق بحث، مخابر...أو التسجيل في الدكتوراه بها بخدم البحث في مجال الأوقاف.

المحور الثالث: عقد التظاهرات العلمية

ويكون بعقد تظاهرات علمية بين القطاعات المشتركة التعليم العالي الشؤون الدينية والمالية، وذلك من خلال ورشات، أيام دراسة، ملتقيات وطنية ودولية، لينتهي بهم الأمر بتوصيات تكون

سامي الصلاحات استشاري الدراسات والعلاقات المؤسسية بدبي، والبحث منشور في المغرب مجلة الجامعة 2004م، وملخصه السعي لتفعيل دور الدراسات العليا في الجامعات الإسلامية، من خلال إحياء الرسائل الجامعية " الماجستير والدكتوراه"الراكنة في الجامعات لتفعيلها.

[1] السر الذي جعل الجامعات الغربية تتميز عن غيرها من الجامعات وتحتل المراتب الأولى في التصنيفات يعود إلى الوقف، وهذا تريب الجامعات حسب الوقف، وترتيبها عالميا

الترتيب	المؤسسة	المبلغ بالفئة المليونية
01	جامعة هارفارد	30.435
02	جامعة بييل	19.345
03	جامعة تكساس	18.623
04	جامعة ستانفورد	17.036
05	جامعة برنستون	16.954
06	معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا	10.150

[2] صالح بوبشيش، دور الجامعة في تفعيل نظام الوقف، الملتقى الوطني الذي نظمته الكلية الإسلامية والاجتماعية بباتنة والموسوم "استغلال الأملاك الوقفية في باتنة واستثمارها: المشكلات ، الآليات والحلول" يومي6 / 7 / أفريل / 2015م.

بمثابة خريطة طريق... لنصل في النهاية إلى إعادة القاطرة، وهي الجامعة الوقفية.

ب- دعم الطلبة الموهوبين والفقراء: يمكن تخصيص مورد ثابت من عائدات الأوقاف للصرف على الطلبة الموهوبين والمتميزين في جميع التخصصات، وكذلك الطلبة الفقراء[1].

ج- دعم الطلبة ذوو الاحتياجات الخاصة: يمكن تخصيص مورد ثابت يقتطع من عائدات الأوقاف يكون لصالح الطلبة ذوو الاحتياجات الخاصة لتشجيعهم والاهتمام بهذه الشريحة من المجتمع.

د- الاهتمام بالكتب والمكتبات: تخصيص محفظة وقفية تساهم في دعم مؤسسات التعليم بالكتب المتخصصة التي يصعب على الطالب اقتناؤها وتوفيرها في المكتبات الجامعية.

ثانيا: استخدام العقارات الوقفية في المجال العلمي

إنّ استغلال العقارات الوقفية لأجل رفع المستوى التعليمي يساعد في تنمية المجتمع، وذلك بتفعيل الحركة العلمية والحركة الثقافية، فإنشاء أو استخدام العقارات الوقفية يشجع ويطور الحياة العلمية ويكون هناك فضاء مشروع لطلبة العلم، من أجل رفع مستواهم التعليمي كذلك التوعوي الذي تقوم به تلك المؤسسات.

وإذا كان هناك عقارات وقفية، يمكن أن تستغل خاصة في وقتنا الحالي لصالح الأساتذة الذين يقدمون دروس التقوية لمختلف فئات المجتمع، من محو الأمية إلى التمهيدي والتحضيري، إضافة إلى طلبة المدارس الابتدائية والمتوسط والثانوي، كما يمكن أن تستغل العقارات الوقفية إن وجدت لإقامة الدورات التعليمية، ويمكننا أن نتصور بعض المشاريع العلمية التي يمكن إضافتها لاستغلال هذه العقارات ولنفس الهدف التي يوقف لأجله ألا وهو الوقف لصالح العلم وهي:

أ - تخصيص عقارات وقفية لبناء دور الحضانة، نظرا لضرورة مثل هذه المراكز اليوم، فإنه يمكن تخصيص بعض من العقارات الوقفية إن وجدت وجعلها حضانة للأطفال مع متابعة نشاط الحاضنة وما تقدمه من برامج لتربية هؤلاء الأطفال.

---

[1] ومن الدول الإسلامية الرائدة في تقديم وقف للطلبة دولة الكويت قام المشروع بتقديم الدعم للطلبة المحتاجين في المدارس الخاصة لمراحل التعليم الأساسية على النحو التالي :

الرقم	السنة	مبلغ المساعدة	عدد الطلبة
1	1997م	121.335 د.ك	1922
2	1998م	129.595 د.ك	1219
3	1999م	221.334 د.ك	1803
4	2000م	291.929 د.ك	2677
5	2001م	384.532 د.ك	3612
6	2002م	435.699 د.ك	4129

ب – تخصيص عقارات وقفية لبناء مراكز تدريب وتقديم دورات علمية لصالح الفئة التي تريد أن تكوّن نفسها وتطور من أدائها.

د – منح الجمعيات والأساتذة الذين جعلوا من أوقاتهم وقفا على الطلبة مقرّات لدعمهم.

هـ – الاهتمام بالوقف العلمي والسعي لإحيائه من خلال استغلال الإعلام بأنواعه.

ثالثا: استخدام أوقاف مختلفة لصالح الوقف العلمي

"إن التعليم بشكل عام يحظى باهتمام الحكومات (بدرجات متفاوتة) وتخصص له الميزانيات المعتبرة، وعليه فإن تدخل الأوقاف يمكن أن يكون مساندًا لتلك الجهود أو مغطيا لمجالات تعليمية تعرف عجزًا، ثم أنني لا أحصر تدخل الأوقاف في التعليم الديني فقط[1]"وإنه بالإمكان أن يتوسع ويشمل مجالات أخرى على سبيل المثال:

أ – وقف الحقائب التعليمية[2] : ومن المشروعات إلى يمكن أن نهتم بها هي الحقائب العلمية لما لها من فوائد في تعلم الطلبة ونبوغهم، حيث يخصص من الأوقاف ما يكون لأجل الدورات العلمية وتعليم المهارات، وجلب العلماء وتكون هذه الحقائب إما بجعل جزء من عائدات الأوقاف لها مباشرة، أو استحداثها بأن يوقف الناس مباشرة على العلم والعلماء، وهذا يمكن أن يكون عن طريق استغلال الإعلام، وتوعية الناس، وتوجيههم إلى هذا النوع من الوقف.

ب – وقف المجمعات العلمية: مما يمكن استحداثه وتمويله من أموال الوقف، ما يسمى بالمجمعات العلمية، وهي هيئات علمية دائمة مكونة من العلماء، لدراسة العلوم الدينية النقلية، والعقلية، للوصول إلى الحق ودفع الشبهات، ومن مهام المجمّع إقامة مراكز للدراسات العلمية وجامعات للبحوث المنهجية، نشر الكتب، إلقاء محاضرات، إقامة ندوات، عقد مؤتمرات....

المبحث الثالث: أوقاف ولاية باتنة أنموذجا[3]

لقد قام الوقف عبر التاريخ الإسلامي بدوره الفعال في نشر العلم ومساعدة المتعلمين، وكان وقف المدارس والمكتبات من السمات البارزة، وإذا كان هذا المنحى قد تقلّص في العصور المتأخرة

[1] فارس مسدور، تمويل واستثمار الأوقاف بين النظرية والتطبيق، رسالة دكتوراه غير منشورة، مرجع سابق، ص: 165.

[2] عبارة عن مجموعة من الوسائط المتعددة، ذات نظام محكم يساعد المتعلمين على تحقيق مجموعة من الأهداف التربوية المطلوبة وفق قدراتهم وحاجاتهم واهتماماتهم، وتعتبر الحقائب التعليمية مختبرات علمية مصغرة متكاملة يتم بواسطتها إجراء التجارب العلمية لمادة العلوم في مدارس التربية والتي تساعد على اكتساب المتعلمين من الطلابي الخبرات والمهارات التي تساعدهم على الفهم والنبوغ.

[3] زينب بوشريف، دراسة ميدانية، عيّنة الدراسة: المسؤولون المباشرون على الوقف من مديرية الشؤون الدينية والأوقاف خلال الموسم الدراسي 2015- 2016م

إلاّ أنّه لم يُزل تماما بل لا يزال موجودا رغم قلّته، وولاية باتنة كغيرها من الولايات لها حظيرة وقفية هامة في مجال التعليم، ابتداء بالمساجد التي تسهر على تعليم الناس دينهم من خلال الدروس والخطب وكذلك المرافق التابعة لها من كتاتيب ومدارس قرآنية ومكتبات وهذه كلها الوظيفة الأولى لها نشر العلم، وإخراج الناس من ظلمات الجهل، وفي الجدول الموالي توضيح لعدد المساجد الموجودة بالولاية:

أولا: عدد المساجد في الولاية

كانت بداية الأوقاف مع المساجد التي لم يتجاوز عددها أثناء الاستقلال 70 مسجدا، موزعة عبر الولاية، واليوم تحتضن 523 مسجدا مصنفة حسب الجدول التالي:

جدول رقم01 يبين عدد المساجد في الولاية وتصنيفها

التصنيف	قطب	تاريخي	وطني	محلي	مسجد حي
العدد	01	08	12	478	24

هذه المساجد هي أماكن العبادة ومن وظائفها الشرعية والقانونية أنها منارة يقبل عليها الناس لتعلم دينهم و أمور دنياهم، فقد كانت قبلة العلماء يحرصون فيها على التعلم والتعليم، ثمّ أصبحت لها مرافق تؤدي مهمة التعليم كما سيوضح ذلك الجدول الموالي:

ثانيا: أنواع الأوقاف التي تساهم في الجانب التعليمي

من أنواع الوقف الذي ساهم في الجانب التعليمي قديما وحديثا إضافة إلى المساجد وقف المدارس و الكتاتيب والزوايا، وهذه الأنواع موجودة بمدينة باتنة كما هو مبيّن في الجدول رقم 02

أ – وقف المدارس والكتاتيب والزوايا

جدول رقم (02) يبيّن أنواع الأوقاف التي تساهم في الجانب التعليمي

الوقف	نوع الوقف	النسبة المئوية
نوع الوقف	مدارس	%35.71
	كتّاب	%35.71
	زوايا	%14.28
	أخرى	%14.28

لقد عرف الوقف عبر التاريخ الإسلامي تنوع في وعائه، فلقد ساهم في الدعوة إلى الله والتعليم

بصورة كبيرة حيث شيدت المساجد وجعل لها أوقاف تعود عليها لتسييرها والمحافظة عليها، كما شيدت المدارس والمكتبات ودور لطلبة العلم وغيرها من الوسائل التي تساعد الطلبة على التعلم وتوفر لهم حاجاتهم الخاصة لأجل أن يتفرغوا لتحصيل العلم ثم تبليغه بعد ذلك، وقد عرفت الجزائر في العهد العثماني هذا النوع من الوقف حيث عُدّت المدارس بالعشرات، وكان الواقفون على المدارس من جميع الطبقات، فمنهم الباشوات، البايات... وبالإضافة إلى ذلك وجدت كتاتيب تابعة لبعض الزوايا، وأمّا المكتبات فإنّ الجزائر في العهد العثماني تعدّ في طليعة البلدان كثيرة الكتب، وبعد الاحتلال الفرنسي عملت فرنسا على تصفية تلك الأوقاف ومصادرتها، وعملت كل جهدها على طمس الهوية وزعزعة الثوابت الوطنية، ومع الاستقلال عملت الدولة الجزائرية على إعادة بناء المساجد والمدارس والكتاتيب بل شجعت على ذلك، لذلك فإنّ مفردات العينة عبّرت بأعلى نسبة والمقدرة ب 35.71 % كان الوقف على المدارس والكتّاب باعتبار هاتين المؤسستين عاملتين على التعليم وهذا حسب الجدول الموالي الذي يبين إحصاء التعليم في مدينة باتنة

والجدول رقم 03 يوضح عدد المدارس المتصلة بالمسجد والمنفصلة عنه وعدد الكتاتيب التي يزاول فيها التعليم.

جدول رقم (03) يبيّن عدد المدارس والقرآنية والكتاتيب خلال الموسم الدراسي 2015-2016م

المدارس	العدد
المتصلة بالمسجد	13
المنفصلة عن المسجد	14
الكتاتيب	481
المجموع	508

من الجدول أعلاه يتبيّن أن التعليم من خلال مؤسسات المسجد سواء في المدارس أو الكتاتيب يساهم مساهمة معتبرة في نشر العلم و أكثر ما يكون في الكتاب باعتباره قسم واحد سهل الانجاز وبساطة التجهيز، ويمارس المعلم مهمته في الكتاب بطريقة بدائية يبدأ مع الأطفال بتعليم الحروف وتحفيظ كتاب الله، كما تبقى المتابعة ولو بعد دخول التلميذ إلى المدرسة، لذلك الجدول الموالي يبيّن أنواع العملية التعليمية التي تكون في هذه المدارس والكتاتيب:

جدول رقم (04) يبيّن نوعية العملية التعليمية التي تساهم فيها هذه الأوقاف

الوقف	نوع الوقف	النسبة المئوية
نوع العملية التعليمية	محو أمية	%26.31
	تمهيدي	%26.31
	تحضيري	%26.31
	دروس تقوية	%15.78
	أخرى	%5.26

من مؤشرات التنمية التعليم ومحاربة الأمية، وما تقوم به المرافق التابعة للمسجد من أوقاف هو مساهمة للقضاء على الأمية، ومساعدة المدرسة النظامية في تعليم التلاميذ سواء بفتح أقسام للتمهيدي وأخرى للتحضيري وكذلك دروس التقوية التي سجلّت أقل نسبة 15.78 % إلاّ أنّ العملية موجودة وأغلب الدروس التي تكون في هذا النوع مجّانية أو بسعر رمزي على أكثر تقدير، وهنا يسجل الوقف مساهمة مزدوجة حيث يكون وقف الأستاذ لوقته، وما كان من أموال يساهم به عادة في المسجد أو المدرسة، أمّا العمليات الأخرى التي يمكن أن تكون في المساجد والمدارس القرآنية والتي نسبتها 5.26٪ يرى بعض أفراد العينة أن مما يستفاد منه من المؤسسات الوقفية في جانب التعليم، التعليم الآلي، اللغات، مهارات مختلفة كتعلم الخريطة الذهنية، استغلال الوقت...والجدول الموالي يبيّن عدد المتمدرسين في المدارس والكتاتيب للموسم الدراسي 2015-2016م.

جدول رقم (05) يبيّن عدد المتمدرسين في المدارس والقرآنية والكتاتيب الموجودة بولاية باتنة خلال الموسم الدراسي 2015-2016م

المجموع الكلي للمتمدرسين	ذكور + إناث	17983	%100
عدد المتمدرسين في التحضيري	ذكور	1340	%9.06
	إناث	1290	
المجموع		1630	
عدد المتمدرسين في محو الأمية	ذكور	00	%7.07
	إناث	1273	
المجموع		1273	
مجموع المتمدرسين بالأقسام المسجدية	ذكور + إناث	1654	%9.19
مجموع المتمدرسين بالكتاتيب	ذكور + إناث	13426	%74.65

إنّ الجدول أعلاه يبيّن المساهمة الفعالة التي تقدمها الأوقاف في مجال التعليم، فالكتاتيب تحوز على أعلى نسبة في مساهمتها في التعليم بأنواعه، وتقدر تلك النسبة 74.65% والكتاتيب تقوم بتعليم الصغار والكبار، ودور الكتاب دور قديم ولا يزال، وفيه يعلم الحروف، تحفيظ القرآن، والآداب وغيرها من العلوم، وتمثل الأقسام المسجدية نسبة 9.19%، ويختلف الكتاب عن المسجد أنّ القسم مجهز بطريقة عصرية طاولات وسبورة ويكون تابعا للمسجد مباشرة كالكتّاب، أما المدارس القرآنية وهي تشمل على مجموعة من الأقسام ولها نظام المدارس التابعة لوزارة التربية، قد تكون المدرسة تابعة للمسجد بمعنى مفتوحة عليه وقد تكون مستقلة، تساهم المدارس القرآنية في تحضير الأبناء للدخول للمدارس بفتح أفواج للتمهيدي وهم الذين يبلغون 4 سنوات ثم تلي ذلك مرحلة التحضيري، يكون الطفل قد بلغ سنّ 5 سنوات، وتمنح له شهادة تبين بأنه قد أنهى مرحلة التحضيري ونتيجة لما حققته المدارس القرآنية من نتائج مع هؤلاء التلاميذ فإن وزارة التربية تريد الشراكة مع وزارة الشؤون الدينية في أمر التحضيري، وعم يعدون برنامجا لذلك.

ومحو الأمية عدد المتمدرسين في هذا المجال في المدارس القرآنية والمساجد بلغ نسبة 7.07% والملاحظ أنّ الفئة المنتمية له من النساء فقط، ويعد من الأنشطة الناجحة.

ومما سبق ذكره يتبيّن أن التعليم في مرافق الوقف شمل محو الأمية التمهيدي ودروس التقوية إضافة إلى التربية والتوجيه والتوعية وهذا ما تقوم به المساجد والمدارس القرآنية من خلال خطب الجمعة، الدروس، الندوات، الأيام الدراسية، المحاضرات والأنشطة المتنوعة الموسمية والمناسباتية.

ب- وقف الكتب والمكتبات: إنّ الكتاب مصدر أساسي في نشر العلوم والمعارف، وحيثما وجدت الكتب والمكتبات تزدهر الحياة الثقافية والعلمية وتقوم الحضارات، وقد أدرك المسلمون أهمية ذلك، فاتّجهوا إلى وقف الكتب، ووقف المكتبات وتسابق أهل الخير في وقف المكتبات والكتب، وخصصت للمساجد مكتبات وقفية خاصة بها، هذه المكتبات يكون نشاطها على قدر همة القائمين عليها، إثراء أو استعمالا، ومن بين المكتبات الوقفية:

مكتبة صالح بن حبرو:[1]

جدول رقم 06 يبين الكتب التي أوقفها ورثة صالح بن حبرو لفائدة المدرسة القرآنية أول نوفمبر54 باتنة

الرقم	نوع الكتب	العدد
01	كتب الأدب العربي	203

[1] صالح بن حبرو: محامي توفي وعمد ورثته إلى وقف كتبه لصالح المدرسة القرآنية أول نوفمبر 54م باتنة

02	كتب التاريخ	89
03	كتب القانون	61
04	كتب الشريعة الإسلامية	40
05	كتب الإعلام والاتصال	13
06	كتب علم الاجتماع	11
07	كتب الثقافة العامة	25
08	كتب باللغة الأجنبية	49
09	مجلات	178
المجموع		669

ومن بين المشاريع التي تقوم بها المدرسة القرآنية أول نوفمبر بباتنة لإحياء سنّة الوقف العلمي:

1- مشروع وقف كتب السيرة وتاريخ الجزائر:

مبادرة قامت بها المدرسة القرآنية أول نوفمبر 54م بباتنة في شهر رمضان عام 2012م، محاولة منها في إحياء سنة الوقف، حيث قامت بكتابة قصاصات عليها عناوين كتب حول السيرة النبوية وأخرى حول تاريخ الجزائر وتوزيعها على المتمدرسات لجمع عدد من الكتب وزّعت بعد ذلك كالتالي:

جدول رقم 07 يوضح مشروع وقف كتب السيرة و تاريخ الجزائر

الرقم	نوع الكتب	العدد	المستفيدون من الكتب الوقفية
01	مصاحف برواية ورش	1000	*- المدرسة القرآنية
02	كتب في السيرة	250	*- بعض طالبات المدرسة
03	كتب في تاريخ الجزائر	200	*- جمعيات، مدارس أخرى

2- مشروع وقف المصاحف المترجمة

مشروع آخر، تسعى إليه إدارة المدرسة القرآنية أوّل نوفمبر 54م باتنة، وهو مشروع المصحف المترجم، تجمع من خلاله المصاحف المترجمة لتوزع بعد ذلك على الطلبة الأجانب، وقد تمّ جمع أكثر من 500 مصحف والعملية لا تزال مستمرة، و يتصور أن تكزن على الصورة التالية:

جدول رقم 08 يبيّن مشروع وقف المصاحف المترجمة

الرقم	الفئة المستهدفة	العدد
01	مصحف لكل طالب- حي الطلبة الأجانب	500
02	مجموعة من المصاحف ترسل مع الطلبة لبلدانهم	500

ثالثا: مقترحات لتفعيل الوقف العلمي

ساهم الوقف الإسلامي مساهمة فعالة في الحياة الاجتماعية، وكان له الأثر البارز في تخفيف الأعباء على الحكومات، تمويلا و إنفاقا، وما يتجه إليه الغرب من عمل تطوعي يهدف المؤسسات العلمية وصرف الأموال عليها لدليل واضح على اهتمام الشعوب بمثل هذا العمل، لذلك من الضروري اليوم الدعوة إلى توسيع نطاق الوقف وتفعيله حتى يلعب دوره في تنمية المجتمع، ومن تلك السبل:

1 – تشجيع وقف الكتب، وتزويد المساجد بمكتبات وقفية.

2– تشجيع وقف الوقت، نظرا لوجود نسبة كبيرة من الأساتذة والمعلمين أخذوا التقاعد النسبي أو الكلي يقترح فتح المساجد والأقسام القرآنية لدروس الدعم التي أثقلت كاهل الآباء ويكون فتح باب خير للمتطوع.

3– التعاون مع وزارة الشؤون الدينية والأوقاف و وزارة التعليم العالي باعتماد الكراسي العلمية في المساجد لما لها من أثر في تعليم الناس.

4– إنشاء معاهد متخصصة قائمة على الوقف، كمعاهد القراءات وغيرها من العلوم الأخرى.

5– نشر ثقافة الوقف عن طريق وسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية.

6– الدعوة إلى وقف النقود لاستغلالها في المجال العلم إمّا بتقديمها كمنح للطلبة أو مكافآت للأساتذة.

الخاتمة

إنّ المجتمعات الحديثة تحاول أن تخفف الأعباء عن أنظمة التسيير المركزية، عن طريق الاقتصاد الحر والمجتمع المدني، ومنظومة الوقف تعدّ أحد المنظومات التي هي بحاجة إلى تفكيك لتوظيفها واستغلالها في إدارة المجتمع، فهو مصدر تمويل مهمّ ساهم في تنمية المجتمع من خلال صور مشرقة في تاريخ الحضارة الإسلامية ولا يزال يؤدي هذا الدور، فلا يقتصر دوره على مساعدة الفقراء والضعفاء وحتى تتحقق التنمية في المجتمع لا بد من المساهمة الفردية أيضا، وذلك من خلال الإنفاق في سبيل الله، فهو قربة يتقرب بها إلى الله، قال الله تعالى:﴿ يا أيها الذين ءامنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ (الصف: 10 – 11)

والتنمية في الإسلام تنطلق من الإنسان، ومن أساسياتها أن يقوم اعتقاد الفرد على الشرائع المحددة للقيم والموجهة للمعيشة، والمنظمة لحركة الحياة، وأن يكون توجهه لله تعالى خالصا لا متبعا لغيره، فهو ينطلق لعمارة الأرض انطلاقا من شعوره بمسؤوليته في ذلك.

وهذه التنمية وفقا لهذا التصور تشمل جميع مناحي الحياة – المادية والروحية – وهي أيضا متوازنة

لأنها لا تهتم بالفرد لوحده بل تهدف إلى أن يصل الخير إلى جميع الناس، ولا تقتصر على مجال دون آخر، فهي شاملة لجميع مناحي الحياة، التعليم، الصحة، ..كما تقوم على مبدأ العدالة والواقعية...

وبناء على ما سبق ينبغي تشجيع المؤسسات التعليمية المختلفة ومؤسسات المجتمع المدني بأهمية الوقف وانه سنّة من سنن النبي صل الله عليه وسلم التي يجب إحياؤها لما فيها من خير يعود على الفرد و المجتمع، قال النبي (صلّ الله عليه وسلّم): "من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سنّ في الإسلام سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة".

نسأل الله عزّ وجلّ التوفيق والسداد.

الهوامش:

أولا: القرءان الكريم + أحاديث النبي (صلّ الله عليه وسلم)

ثانيا: القواميس والكتب

1 مرتضى الزبيدي، تاج العروس، دار صادر، بيروت،(د، ط)، ج3 ، (د،ت

2 أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، لبنان، ط1،ج 6، 1999م

3 ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ، (د.ط)، ج5، (د.ت)،

4 عبد الباسط محمد حسن، التنمية الاجتماعية، معهد البحوث و الدراسات العربية، المطبعة العالمية، القاهرة،(د.ط)، 1970

5 هناء حافظ بدوي، التنمية الاجتماعية- رؤية واقعية من منظور الخدمة الاجتماعية-، دار المعرفة، مصر، (د.ط)، 2000م

6 عبد الرحيم تمام أبو كريشة، دراسات في التنمية الاجتماعية، المكتب الاجتماعي الحديث، مصر، (د.ط)، 2003م.

7 إبراهيم حسن العسل، التنمية في الفكر الإسلامي، مفاهيم – عطاءات، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، ط1، 2006م

8 محمد عباس إبراهيم، التنمية والعشوائيات الحضرية – اتجاهات نظرية وبحوث تطبيقية- دار المعرفة، الإسكندرية، 2003م

9حربي محمد عريقات، مقدمة في التنمية والتخطيط الاقتصادي، دار الكرمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 1997م

ثالثا: مقالات

1 موقع الأمم المتحدة، الأهداف الإنمائية للألفية وما بعد 2015م

2 من المشاريع المقدمة للوقف على الجامعات ، مشروع الوقف على مؤسسة الوقف للدراسات العليا الذي قدمه الدكتور سامي الصلاحات استشاري الدراسات والعلاقات المؤسسية بدبي، والبحث منشور في المغرب مجلة الجامعة 2004م،

3 صالح بوبشيش، دور الجامعة في تفعيل نظام الوقف، الملتقى الوطني الذي نظمته الكلية الإسلامية والاجتماعية ببانتة والموسوم "استغلال الأملاك الوقفية في باتنة واستثمارها: المشكلات، الآليات والحلول" يومي 6 / 7 / أفريل / 2015م

4 فارس مسدور، تمويل واستثمار الأوقاف بين النظرية والتطبيق، رسالة دكتوراه غير منشورة، مرجع سابق، ص: 165

5 أحمد أنور الشلتوني، التدابير الشرعية لإعادة الوقف العلمي إلى دوره الفعال في النهضة العلمية للأمة، بحث مقدم لمؤتمر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية، كلية الشريعة جامعة الشارقة، 10-5 -2011م